الكتب التعليمية للغة العربية المتداولة في شمال الهند
(محاولة لتقويمها)

د. جاويد أحمد بال
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية،
الكلية الحكومية في بلوامة

موضوع الدراسة:

ازداد الاهتمام بتعليم اللغة العربية بشكل شبه منتظم في القارة الهندية بعد أن أنشئت المدارس الدينية منذ منتصف القرن التاسع عشر، فألفت كثير من الكتب لسد حاجة الطلاب إلى المواد التعليمية، وكانت هناك محاولات فردية لتأليف مثل هذه الكتب، وكانت هذه المحاولات خدمة عظيمة لأن مؤلفو هذه الكتب بذلوا كل ما في وسعهم من الجهد والمال والوقت وكرسوا حياتهم للنهوض بهذه اللغة في هذا البلد، وكان أكثرهم علماء الدين الذين يعرفون بجهودهم في نشر المعارف الشرعية والعلمية في الهند، وهذه الكتب كانت ذات أهمية بالغة حيث وجد بها بديل مناسب للكتب الكلاسيكية مثل كتاب سيبويه وألفية ابن مالك ومتن الأجرومية وشذى العرف وقطر الندى وغيرها التي لا تصلح إلا للدراسات المتخصصة في علم النحو ولا تصلح للنحو التعليمي، كما كانت هي بديلة للكتب التقليدية في "الدرس النظامي" مثل نحو مير وصرف مير لمير الجرجاني وهداية النحو لأبي حيان النحوي والكافية لابن حاجب النحوي وشرح ابن عقيل وغيرها. ولكن يتواصل السعي الإنساني لأجل تحسين الوضع في مجال التعليم وكذلك حال تعليم اللغات الأجنبية أو الثانوية، فعلينا أن نراجع هذه الكتب التي ألفها هؤلاء العلماء لخدمة هذه اللغة الكريمة لأن المواد التعليمية أو الكتب الدراسية المتداولة في شمال الهند عامة وفي كشمير خاصة لا تحقق أهدافها المنشودة في تعليم اللغة ونشرها كما ينبغي، فاللغة العربية ليس لها وجوداً ملموساً في شمال الهند على ساحة الاجتماعية أو الاتصالية بين المسلمين، فمع كل الاحترام والتقدير لهؤلاء، هناك حاجة ملحة لمراجعة هذه الكتب وفق معايير جديدة لتعليم اللغات الأجنبية، هذه الدراسة تبحث في جوانب إيجابية وسلبية لهذه الكتب وفق المعايير الموضوعية الحديثة المقتبسة من علم اللغة التطبيقي. وهي محاولة لإجابة

عن السؤال التالي: لماذا تزيد هذه الكتب المتداولة الكفاءة اللغوية إلى حد ما ولكنها لا تطور الكفاءة الاتصالية للطلاب، ولماذا تزيد مهارة القراءة فقط ولا تزيد مهارة الكلام والتعبير؟ وأعترف بأن هذه الدراسة تفتقر إلى دراسات أخرى شاملة لأن عملية تعليم اللغة لا تقتصر على الكتب المقررة فقط بل تشمل أركانها أو محاورها الأخرى مثل الطالب والمعلم والبيئة أو الأسرة والمجتمع المدرسي، وأن هذه الدراسة لا تشمل الكتب التي ألفت بالوسيط الإنجليزي أيضاً، ولعل هذه الدراسة تمهد السبيل إلى الدراسات المتتالية في هذا المجال المهم.

أهداف الدراسة

من أهداف هذه الدراسة:

١- تحليل الكتب الدراسية المشتملة على القواعد النحوية أو النصوص وفق معايير حديثة لتدوين مثل هذه الكتب.

٢- إبراز ضرورة إعادة ترتيب هذه المادة وفق المعايير الحديثة لتعليم اللغة الأجنبية.

٣- إبراز أهمية الإفادة من قوائم الألفاظ الشائعة وقوائم التراكيب النحوية الشائعة في تأليف الكتب التعليمية.

٤- عرض أهم الملامح التي ينبغي للمؤلف أن يراعيها خلال تصديه لعملية تأليف الكتب التعليمية.

٥- إبراز أهمية الاعتناء بكل المهارات اللغوية في توازن تام في إعداد المواد التعليمية.

٦- إبراز أهمية ترتيب الكتب بطريقة شائقة مستعيناً بالصور والرسوم والأشكال والجداول والتدريبات والورقات الاختبارية وقوائم المفردات والتعبيرات الواردة في الكتاب.

٧- ومن أهم الأغراض من مراجعة الكتب، تحسين وضع عملية التأليف والتدوين لأجل تعليم اللغة العربية في المستقبل.

منهج الدراسة

ستتناول هذه الدراسة بعض الكتب المختارة لتعليم اللغة العربية تحليلاً ونقداً بما في ذلك بعض الكتب للنحو والقواعد والتي ألفها المؤلفون الهنود في العصر الحديث. وستكون هذه المراجعة في ضوء بعض الأسس التي أشار إليها التربويون والخبراء في مجال تدريس اللغات الأجنبية. وتنطلق هذه الدراسة من فكرة التربية الحديثة حول تعليم اللغات ومن إفادات علم اللغة التطبيقي الحديث، فالتربية الحديثة ترى أن المهارات اللغوية تتمثل في المحادثة والاستماع، والقراءة والكتابة، وأن المحادثة والكتابة تمثلان الإرسال للمعاني، في حين أن القراءة والاستماع تمثلان الاستقبال لها، ولا بد أن يتعلم الدارسُ اللغةَ في إطار التكامل دون أن يهمل أياً من هذه المهارات. وقد أقر الخبراء بأهمية المشافهة والمحادثة وأسبقيتهما في تعليم اللغات. لا بد أن يتم بناء طرق التعليم على أسس علمية وتكون الدروس مبنية على أسس العقل والتجارب لا على التقليد والتلقين الذين يطفئان جذوة النشاط لدى التلاميذ. وكذلك المسايرة مع التلاميذ من السهل إلى الصعب، ومن الجزئي إلى الكلي ومن البسيط إلى المركب ومن المعلوم إلى المجهول ومن المحسوس إلى المعقول ومن الشائع إلى النادر مهم جداً للنجاح عملية التعليم، بالإضافة إلى الفاعلية الذاتية التي لها دور إيجابي في تنشيط التلاميذ خلال الدرس. فلب المسألة هنا اختيار المادة للتعليم، يقول الدكتور عبده الراجحي: "أن ثمة اتفاقاً بين العلماء على أن أفضل نموذج يمكن اختياره من اللغة هو النموذج الذي يمتاز بالعمومية والشمول بأن يكون أوسع انتشاراً وأكثر استعمالاً وأقل تقييداً، وأن تكون له جذور تاريخية وامتداد ثقافي"[1]. بناء على ذلك نفترض أن هذه الكتب التي كتبت في العصر الحديث تنقصها منهجية مدروسة في تدوين الكتب التعليمة في مجال تعليم اللغات الأجنبية، والمراجعة ستكون وفق هذه الأسس العلمية والمعايير الموضوعية. وسيتناول الكتب في جزئين: (أ) كتب

[1] عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ٣٩

دراسية للغة العربية (ب) كتب النحو والقواعد

(أ) كتب دراسية للغة العربية:

تشمل هذه الدراسية الكتب النموذجية التي ألفت لأجل تعليم اللغة العربية في المدارس والمعاهد الدينية والخاصة. سأكتفي بالحقائق العامة عن هذه الكتب لأبرز جوانب إيجابية وسلبية لها. ولا بد من الاعتراف بأن هذه الكتب ناجحة من حيث تأصيل مهارة القراءة في الطلاب لأجل تسهيل النصوص الدينية لهم، والنظرة الشاملة إليها تجلي بعض الجوانب الإيجابية والسلبية.

١- (منهاج العربية) لسيد نبي الحيدر آبادي خمسة أجزاء

٢- (مفتاح العربية) لمولانا نور عالم خليل الأميني

٣- (القراءة الواضحة) لمولانا وحيد الزماں القاسمي الكيرانوي

٤- (القراءة الراشدة) لسيد أبي الحسن الندوي

٥- (اللغة العربية الوظيفية) لمجموعة المؤلفين

٦- (منطق الطير) لد. عبد الرحمن وار

تحليل هذه الكتب:

قضية التدرج والاختيار

مراعاة التدرج مهم جداً في ترتيب الكتب التعليمية، فلا بد أن ينقل الدارس من السهل إلى الصعب ومن الشائع إلى النادر بل لا بد من أن يؤخر النادر للمرحلة الأخيرة، فالكتب السالفة الذكر تراعي هذه القاعدة من منظورهم الخاص ولكن لم تتم مراجعة قوائم الألفاظ والتراكيب الموجودة في العالم العربي لتأكيد من درجة الشيوع والتوزيع للمفردات والبنى النحوية والأسبقية للكلمات والبنى النحوية الشائعة، ينظر للتفصيل من أجل المفردات والبنى النحوية الشائعة في القوائم المطبوعة[١] والمتاحة

[١] ومنها قائمة البنى النحوية أو المحتوى النحوي في كتاب " تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" تأليف محمود كامل الناقة، طبعته جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٥م من ص ٢٩٣ إلى ٣١١. ومنها

على الإنترنت، انظر في الدرس الأول من (القراءة الواضحة) تجد المفردات: منضدة، ودواة ومرسام وفي الدرس الأول من (مفتاح العربية) تجد المفردات: دواة وشباك ومحبرة وهلم جراً، وطبعاً هذه المفردات لا يصح عرضها مع المفردات الشائعة الواردة في هذه الدروس نفسها، ويدل ذلك على أنه لا تتم المراجعة للقوائم قبل تأليف الكتاب لأجل النظر في درجة الشيوع للمفردة، وكذلك لم يراعوا التدرج في التراكيب أو النصوص المتنوعة المرتبة حسب درجة سهولتها وجاذبيتها للطلاب، باعتبار السهولة يأتي الحوار والقصص أولا وتأتي نصوص ثقافية ودينية في المرحلة التالية، لكن وضعت الدروس في هذه الكتب على أساس المبتدأ والخبر وأنواعهما من حيث الإفراد والتركيب اللهم إلا صاحب (منطق الطير) فإنه يراعي منهج كتب تعليمي للأطفال، ولم تعرض هذه الكتب حتى الجمل الأساسية الذي تستعمل في الكلام العربي عند اللقاء والتحية والتعارف، وكذلك لم يتم تحديد المادة وترتيبها ترتيباً زمنياً أو وفق مستويات الدارسين، فلا نعرف لمن ألفت السلسلة فلا نعرف مستوى القارئ ولا زمناً يستغرقه تعلم هذه المادة. ولم يتبع المؤلفون التدرج في تقديم البنى النحوية في الدروس، فلا يأخذون النواة العامة المشتركة التي تمثل العناصر الأساسية في اللغة بعين الاعتبار، وتعلم كل اللغة أمر مستحيل وأن الاختيار مبدأ جوهري في تدوين هذه المادة، والمشكلة تكمن في أن هذه الكتب لا تبني على معايير علمية تجعلها محكومة بضوابط يمكن الاحتكام إليها عند اختيار موادها، ولو قارنا بين هذه الكتب وبين بعض الكتب مثل (سلسلة - العربية بين يدي أولادنا، سلسلة - إقرأ وغيرهما) التي ألفت لغير الناطقين بالعربية وفق معايير موضوعية لاتضح لنا الأمر، المفرد أكثر شيوعاً من المثنى والجمع، والمثنى يأتي آخراً في المرتبة، وكتاب (منطق الطير) يجعل الجمع جزءا مهما لكل الدرس من الدرس الأول، ولو رأيت تمارين الترجمة في (منهاج العربية) لأحسست بأن الدارس مكلف بأصعب مشروع الترجمة على وجه الأرض.

قائمة المفردات في كتاب "الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" تأليف رشدي أحمد طعيمة، طبعته جامعة أم القرى سنة ١٩٨٢م، من ص ٧٦ إلى ١٣١

قضية التوازن والتكامل

ليس هناك كتاباً واحداً من هذه الكتب يراعي تنمية المهارات اللغوية الأربعة بشكل متزن، فهي تهمل مستوى المنطوق بأكمله ومستوى الكتابة إلى حد كبير، وإهمال الوظيفة الاتصالية للغة يخفق عملية التعليم، ولا تستمد من علم اللغة النفسي والاجتماعي شيئاً لتنظيم المواد. والتركيز المفرط على الترجمة والقراءة يثير كثير من التساؤلات، هدف معظم هذه الكتب هو تعليم اللغة العربية لأجل فهم النصوص الدينية ومعرفة الدين الإسلامي، وكانت الأسبقية عند المؤلفين أن تزيد قدرة الطلاب على قراءة الكتب الدينية فأهملوا مهارتي الاستماع والكلام، فكل التركيز على لغة التحرير وهذا جيد لا غبار عليه ما دمنا نقتصر أمر اللغة على القراءة فقط وإذا أردنا أن نهتم بكل جوانبها فهذا منهج ناقص البتة. ومعظم هذه الكتب تعطي للطلاب تمارين للترجمة لأن منهجها منهج القواعد والترجمة ما خلا (القراءة الراشدة) فهو كتاب مشتمل على النصوص الثقافية والإسلامية ولا يشبه كتاب مدرسي لتعليم اللغة العربية، وكتاب (منطق الطير) أيضا لا يعطي تمارين للترجمة، وكل هذه الكتب تهمل مهارة المحادثة ما عدا كتاب (القراءة الواضحة) الذي توجد فيه تدريبات ضئيلة جداً عن المحادثة. كل مؤلف يركز على جانب ويهمل جوانب أخرى فبينما يركز سيد أبو الحسن الندوي على الجانب الإسلامي والثقافي، اعتقد الآخرون، "بأن في تعليم قواعد اللغة تعليماً للغة"[1] فاهتموا جانباً نحوياً ولم يربطوا الدروس بتجارب الحياة عند الطالب، فنظموا كتبهم على أساس الفصائل الصرفية والنحوية فهذا سيد نبي الحيدر آبادي في (منهاج العربية) الجزء الثاني يضع عناوين هكذا: درس١: مؤنث أسماء إشارة، درس ٢: جمع مكسر، درس ٣: مضاف ميں تأنيث وهلم جرا. ولكن لم يتم المراجعة لهذه الطريقة التقليدية فسار معظمهم على هذا الاعتقاد بأنها طريقة مثلى لتعليم اللغة بينما هي طريقة محبطة لهمة الطفل ومخلة بذوقه، يشير الدكتور رمضان عبد التواب إلى هذه الحقيقة قائلاً: "إن اهتمامنا بتعليم القواعد النحوية في

[1] رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/١، ١٩٨٢م ص ١٦٨

مرحلة مبكرة من حياة الطفل، جعلنا نظن أن مقياس إجادة اللغة، هو البراعة في حفظ المصطلحات النحوية، والتفنن في عد مسوغات الابتداء بالنكرة، مجيء الحال معرفة، وأحوال الصفة المشبهة وما إلى ذلك"[1] ولكن هذا الاهتمام لا يؤدي إلا إلى الإخفاق في تعليم اللغة. إذاً اعتقاد الكثيرين بأن إتقان قواعد اللغة هو العنصر الجوهري في إتقان اللغة اعتقاد خاطئ، والتر كيز على القواعد اللغوية يؤدى إلى أن يكون الكتاب ناقصا من حيث المعجم اللغوي، مما يجعل المتعلم غير قادر على استعمال ما يتعلمه، وقد نسى أصحاب هذه الكتب المواقف والبيئة الطبيعية التي يجرى فيها الاستعمال اللغوي، ثم الوظائف التي تساعد على وضع اللغة في إطار طبيعي، ليتمكن من المتعلم الوصول إلى القدرة الاتصالية، وعلى جانب آخر يركز كتاب (اللغة العربية الوظيفية) على المدخل الوظيفي، لا يهتم بالتدرج النحوي ولا بالتدرج الموقفي، ولا يبالي كثيراً بمسايرة الطالب خطوة خطوة. خلاصة القول إن هناك شعور بفقدان التكامل بين الأنماط النحوية والموقفية والوظيفية حيث يكون الكتاب راقياً من حيث التدريج النحوي وينقص في المعجم اللغوي، أو يكون راقياً من حيث المعجم ولكنه لا يتبع استعمال واقعي للغة مما يجعل عمل تعلم المادة عملاً مصطنعاً متكلفاً.

قضية التوسع والتعدد

كان من الواجب أن ينظر هؤلاء إلى اللغة العربية على طول امتدادها التاريخي كلغة يربط ماضيها بحاضرها وهي لغة قبلت تنوعاً كبيراً وتعدداً مفهوماً خلال تاريخها العظيم، فحصروا اللغة على المعادلة الكلاسيكية فقط وأغفلوا أسس الشيوع والذيوع للمفردات وللبنى النحوية لأنها مقتبسة من المعادلة المعاصرة، فأصبحت الكتب ناقصة في المعجم اللغوي الحي. والسبب أن هذه الكتب ألفها العلماء الدعاة فكان مجال الدين بمفهومه الفقهي عندهم أهم من مجالات الحياة الأخرى، فتضيق

[1] رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص ١٦٨

بهذا المفهوم مجال اللغة عندهم، وهذا أمر طبيعي لأن منهج تعليم اللغة في المدارس الدينية يختلف عن المنهج العام لتعليم اللغة عند الأمم، حيث يكون نصب أعينهم في الأول تسهيل النصوص الدينية للطلاب، وهذا لا مشكلة فيه، لأن النصوص الدينية تجعل لغة ما محفوظة مصونة حيث يمكن إخراجها إلى ساحة الواقع إذا أراد قومها، ومع ذلك فإن انكماش اللغة من ساحة الواقع وغيابها من حياة القوم يؤثران على دورها الفعال في بناء الحضارة، ويتم بذلك تهميش هذه الحضارة مع كل مكوناتها المعنوية، ولذلك يطلب أصحاب هذه الأمة المخلصين أن تكون للعربية سيادة ووجود في أرض الواقع وليس في الكتب الدينية فقط، وكذلك للغات الشرقية الأخرى مثل الفارسية والأردية كي تلعب هذه اللغات دورها في المجال الحضاري المعاصر مقابل اللغات الأجنبية التي لا تحتضن إرثاً أدبياً ودينياً للأمة الإسلامية، فقد أحسن كتاب (اللغة العربية الوظيفية) بربط اللغة بشؤون الحياة ومجالاتها لتساير العربية الركب الحضاري وتكون لها وجوداً حياً في هذا العصر.

(ب) كتب النحو والقواعد:

في هذا المجال وقع اختيارنا على الكتب الشهيرة في مادة النحو التي هي متداولة في شمال الهند وخاصة في كشمير، ولكن الفحص المفصل للموضوعات والمحتويات لا يمكن، نكتفى بالحقائق العمومية عن هذه الكتب لنبرز جوانب إيجابية وسلبية لها، والحقيقة أن تطويع علم النحو للأغراض التعليمية ثم تطويعه لخدمة نشر اللغة نفسها قبل أن ينشر علم النحو نفسه أصل أصول تعليم اللغة، ثم إخضاعه لمعايير أخرى تستعين بعلم اللغة النفسي في السلوك اللغوي عن الفرد، وبعلم اللغة الاجتماعي في الاتصال اللغوي، وبعلوم التربية في نظريات التعليم وإجراءات التعليم، أما وصف علمي دقيق للغة ما يسمى بعلم النحو فهو لا يصلح لمقررات تعليم اللغة أو نشرها بين المتعلمين، يقول الدكتور محمد إبراهيم الطاؤوسي: "صعوبة القواعد في هذه اللغة ترجع إلى سببين: الأول: إلى المادة النحوية ذاتها، وهو حشوها بما لا حاجة لنا به من التفصيلات والتفريعات والتعليلات والتعريفات التي لا ينبغي أن يعنى بها إلا

المتخصصون الذي يريدون أن يتعمقوا في دراسة الفلسفة اللغوية، والسبب الثاني الذي ترجع إليه صعوبة هذه اللغة في قواعدها ويتصل بطرائق تعلم اللغة وتعليمها وأساليب تأليف كتبها ومناهجها. وهذا كله يتطلب منا مراجعة جدية ونظراً جديداً في قواعد هذه اللغة بإبقاء ما هو صالح من موضوعات النحو ومسائله والاستغناء عما لا يفيد منها، ثم البحث عن الطرق والوسائل المفيدة السهلة التي تمكن شبابنا وأبنائنا من معرفة هذه اللغة وتحببهم فيها بل وتشوقهم إليها وإلى تراثها وعلومها"[١]، منطلقاً من هذه الأسس نحاول أن نراجع الكتب التالية:

١- عربى كا معلم لمولانا عبد الستار خان أربعة أجزاء

٢- كتاب النحو لمولانا عبد الرحمن الأمرتسري

٣- معلم العربية لمولانا نديم الواجدي، جزءان

٤- تمرين النحو لمولانا محمد مصطفى الندوي

تحليل هذه الكتب:

قضية التلقين والترجمة والحفظ

حاول المؤلفون قدر الإمكان لتقديم النحو باللغة المحلية بأسلوب سهل، فإذ قارنا بين الكتب التقليدية التي كانت تدرس في "الدرس النظامي" وبين هذه الكتب أحسسنا بالتعديلات التي أجراها هؤلاء لتسهيل هذه المادة لطلاب العلم ولا شك أنهم شعروا بأن علم النحو اختصاص علمي منفصل عن سياق الاستعمال في غالب الأمر، لا بد من صياغة جديدة لتقديم قواعد النحو في أسلوب سهل للمتعلمين، ولكن مع ذلك تفقد هذه الكتب معايير موضوعية لتنظيم موادها، ولا تساهم في نشر اللغة على المستوى الوظيفي والاتصالي إلا قليلاً، وهي لذلك لا تسعى إلى تنمية القدرة لدى الطالب على الأداء كتابة أو كلاما كما ينبغي. لأن هذه الكتب تركز على التلقين

[١] واقعنا اللغوي المعاصر (محاولة للتقويم): محمد إبراهيم الطاؤوسي، فعاليات الندوة العامة لمعالجة ظاهرة الضعف اللغوي، حائل، المملكة العربية السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ص ٦٢

والترجمة والحفظ لترسيخ القواعد في أذهان الطلاب دون مراعاة الأسس النفسية للتعليم، فالطالب العادي يحب أن يعتمد التعليم على المواقف الواقعية للحياة والسياقات اللغوية الطبيعية، وأن يعطى فرصة ليعلم الجمل الأساسية بأسلوب فطري قبل أن يكلف بحفظ القواعد وترجمة الجمل، خذ كتاب (عربي كا معلم) فسترى مواصفات تفصيلية وتنبيهات كثيرة حول جزئيات نحوية، ثم يكلف القارئ بالتدريبات حول القواعد نفسها أو تطبيق القواعد والترجمة، وكل الدروس مذيلة بتمرينات (اردو سے عربي) و(عربي سے اردو)، وكتاب (معلم العربية) يتبع منهج (النحو الواضح) لعلي الجارم ومصطفى أمين في الشرح النحوي وتقديم القاعدة النحوية لتأصيل مفهومها في ذهن القارئ، ثم يأتي بالتدريبات التطبيقية بعدد غير قليل لممارسة القاعدة، ولا يفوته التدريبات على الترجمة، ومن المعقول أن يعلم الطالب توجيهات عقلية للقواعد ولكن سرعان ما يحس بأنه وضع مصطنع ورتيب للتعليم لا يربطها الرابط بالحياة فيكره تعليم اللغة إلا إذا كانت عنده معلومات سابقة عن اللغة العربية أو الكفاءة الاتصالية، وكذلك الحال مع (تمرين النحو) الذي يتبع منهج (النحو الواضح) بمزيد من الدقة حيث يقدم الأمثلة ليستنتج القاعدة منها على الطريقة الاستقرائية، هذه الطريقة أنشط لما يشارك الطلاب في عمل صياغة القاعدة واستخراجها ولكن الشعور بالاصطناع موجود هنا أيضاً ولو بالقليل. وصاحب (تمرين النحو) اعتمد على الوسيط الأردي مما جعل كتابه أقل فائدة من (النحو الواضح) نفسه إلا للطالب الذي يقوم بتعلم العربية تعلماً ذاتياً ولا يتعلمها ممارساً المهارات اللغوية الأربعة، فالترجمة تقل من قيمة هذه الكتب وكذا اعتمادها على التلقين والحفظ.

قضية التدرج والاختيار

التدرج موجود في بعض هذه الكتب بدرجات متفاوتة ولكن هذا التدرج لا يبني على أسس الشيوع والتوزيع لترتيب البنى النحوية، ومن المعلوم أن البنى النحوية لا تساوي بعضها بعضا في درجات الشيوع والتوزيع، فهناك بنى مركزية لا يستغني عنها

الاستعمال اللغوي، ثم ينبغي أن تربط هذه البنى والتراكيب بالأحداث الاتصالية، إذن لا بد من اختيار البنى النحوية التي لها شيوع حتى لا يستنفد جهد المتعلم قبل أن يتعلم اللغة. جل الكتب وخاصة كتاب (عربي كا معلم) وكتاب (كتاب الصرف) تقدم جزئية أو مفردة حول موضوع ما من النحو دفعة واحدة فتقدم كل التفاصيل عن الجزئية ليتقنها المتعلم قبل الانتقال إلى الجزئية الأخرى، فإذا قدم المؤلف في الدرس الأول في كتاب (عربى كا معلم) على الاسم حاول أن يتفرغ منه بتقديم نوعيه من حيث التعريف والتنكير ثم سبعة أقسام للمعارف، ثم علامات التعريف والتنكير وما إلى ذلك، صحيح أن هذه الطريقة تساعد في توفير وقت الطلاب إذ يعلم كثيراً من الأشياء عن القواعد والبنى النحوية في قليل من الوقت ولكنه مع ذلك يضطر إلى أن يتعلم الأشياء التي تنفذ بها همته وهو لا يحتاج إليها في استعمالات لغوية إلا قليلا، وقد ينسى المتعلم كثيرا من هذه التفاصيل لأنه لا يطبقه عملياً في استخدام اللغة نطقا وتعبيراً وتسقط كثير من هذه التفاصيل في النسيان والتجاهل. ولم يراع أيضا التدريج من حيث كفاءة المتعلم التي تزداد كل مر اليوم، خذ مثالا في هذا الباب من (كتاب النحو). يقدم هذا الكتاب كل المعلومات حول الجزئية النحوية بطريقة مكثفة في باب واحد، فقد تناول المؤلف في الدروس الأولى كل التفاصيل عن المعرب والمبنى والمنصرف وغير المنصرف، وأقسام الإعراب وأسباب منع الصرف، فالكتاب يشبه دليلاً أو فهرساً لمواضيع علم النحو، ولا يشبه كتاباً للنحو التعليمي، وقد أحسن الأستاذ نديم الواجدي في ترتيب كتابه وفق هذا المعيار حيث قدم السهل والشائع على الصعب والنادر، فمثلاً لا يذكر من حروف الجر "رب وخلا وعدا وحاشا والتاء والكاف والواو ومذ ومنذ)" بل اكتفى ب" من وفى وعلى وإلى وعن والباء واللام"، فالدارس لا يحتاج إلى المجموعة الأولى من حروف الجر كما يحتاج إلى المجموعة الثانية. وكذلك اتبع صاحب (تمرين النحو) التدرج من وجهة نظره، ولكن المؤلفين لم يتبعوا في ذلك قوائم البنى النحوية الشائعة، مثلاً تأتي رتبة المفرد في الشيوع قبل المثنى والجمع، وتأتي رتبة الجمع قبل المثنى، وجمع المكسر قبل الجمع السالم، وكذلك الحال في البنى

الصرفية مثلاً فليست كل الصيغ الفعلية في العربية مثلا متساوية الشيوع، وثمة صيغ ينخفض شيوعها انخفاضاً واضحاً فليس هناك ما يدع إلى اختيارها في المحتوى كصيغة افعوعل "اخشوشن" وافعالّ "اخضارّ" وصيغ كثيرة في جموع التكسير يجب إسقاطها عند الاختيار وإلا فعدم مراعاة التدرج سيسبب الإحباط لهمة الطالب وإخماد لذكاوته مما يؤثر تأثيراً سلبيا على دافعيته نحو تعلم اللغة. وتحديد الزمن الذي يستغرقه الكتاب مفقود في منهجية أصحاب هذه الكتب وبعض المؤلفين يدعون أن كتبهم تصلح لكل المستويات -للأطفال في الكتاتيب وللتلاميذ في المدارس وللطلاب والباحثين في الكليات والجامعات، ويوصون أن توضع في المقررات الدراسية على كل المستويات،

قابلية التعلم والتعليم

قابلية التراكيب النحوية للتعليم بأن لا يصعب على المعلم تعليمها مثلاً تعليم نون الثقيلة والخفيفة في تصريف الفعل المضارع، فقد تؤثر أبعاد البنى النحوية مثل طولها وقصرها وشيوعها وشذوذها على قابليتها للتعليم أو التعلم، انظر مثلاً منظومة مائة عامل في (كتاب النحو) صفحة ٦٤، هذه المنظومة تصلح فهرساً لمواضيع علم النحو ولكنها لا تصلح أن تكون جزءا لكتاب مدرسي.

الخاتمة

الكتب التي بين أيدينا لتعليم اللغة العربية لعبت دوراً كبيراً في تسهيل عملية تعليم اللغة في هذه البلاد، ولكنها مع ذلك ليست حرفاً نهائياً في هذا المجال، الإنسان يتواصل سعيه من أجل تنمية الموارد والمواد. وتعليم اللغة نشاط عملي يتجدد كل يوم وهو يفرز تجارب وخبرات جديدة ويكشف عن مشكلات لم تكن معروفة، ويقترح حلولا كانت غائبة، ولكل لغة خصائصها ولكل تعليم أهدافه، فينبغي أن تكون صياغة الكتب في المستقبل وفق منهج علمي يتخذ معايير موضوعيه وتتكامل فيه مجالات التخصص لأن اللغة قبل كل شئ نظام من الأنظمة ونحن لا نعرف شيئا ما من اللغة إلا بعد أن نعرف العلاقات التي تربطه بالأشياء الأخرى، فإذا نتصدى لتعليم النحو

فكان من الضروري أن لا نقدم الجزئية مع كل تفاصيلها دفعة واحدة بل يقدم منها جانباً واحداً مع جوانب أخرى لمفردات أخرى، نم نعود إليها مرة أخرى ونقدم جانبا ثانياً ثم ثالثاً وهكذا. وكذلك نركز على قواعد الاستعمال أكثر من قواعد اللغة ونعلم اللغة بهدف إتقان الاتصال لأن كثيراً من هذه القواعد لها قيمة معرفية ومعلوماتية أكثر من قيمة تعليمية.

وأما بالنسبة للكتب الدراسية فلا بد أن نراعي المداخل التعليمية الحديثة التي تناسب روح العصر وتقضي على المشكلات التي تعاني منها تعليم اللغة العربية في شمال الهند لتكون مادتها مدرجة بالتدريج التكاملي ومرتبة بالترتيب الزمني مصاحبة بالتسجيلات الصوتية أو المواد السمعية والبصرية مزودة بالرسوم والأشكال التوضيحية والخرائط التوضيحية منتهجة بالمنهج الدوري المتسلسل فتجعل المعلومات واضحة ميسرة تجعل من المتعلم أن يجتاز مراحل الدرس من خطوة إلى خطوة بعد التثبت من استيعاب الوحدة السابقة وأن تكون هذه الكتب مبنية على المداخل النحوية والوظيفية والاتصالية والانتقائية والمهارية والتقنية بشكل متزن فإذا كان الدرس مبنياً على قاعدة نحوية معينة فلا بد من ممارستها في مواقف الحياة بصورة طبيعية أو في سياق تام للنص حتى لا ينقص الدرس من ناحية المعجم اللغوي أو من ناحية المجال الوظيفي، وهذا المنهج التكاملي مهم جداً ليكون لدى المتعلم قدرة على المهارات اللغوية بأكملها وليكون عنده الكفاءة اللغوية والكفاءة الاتصالية على حد سواء.

المراجع:

١- داود عبده: المفردات الشائعة في اللغة العربية، الرياض, جامعة الرياض، ١٩٧٩م.

٢- رشدي أحمد طعيمة: الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، طبعته جامعة أم القرى سنة ١٩٨٢م

٣- رشدي أحد طعيمة: مشكلات القراءة في كتب تعليم العربية لغير الناطقين

بها دراسة مقدمة إلى ندوة بعنوان تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، الرباط، مارس ١٩٨٠م.

٤- رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/١، ١٩٨٢م

٥- عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ٣٩

٦- مجيد إبراهيم دمعة: منهج ومواصفات الكتاب المدرسي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بغيرها، دراسة مقدمة إلى ندوة بعنوان تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، الرباط، مارس ١٩٨٠م.

٧- محمد إبراهيم الطاؤوسي: مقالة بعنوان "واقعنا اللغوي المعاصر (محاولة للتقويم)"، من كتاب "فعاليات الندوة العامة لمعالجة ظاهرة الضعف اللغوي"، حائل، المملكة العربية السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع.

٨- محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، طبعته جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٥م

٩- محمود كامل الناقة: أساسيات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، تطوير تعليم اللغة العربية، المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب، ١٩٧٦م

١٠- محمود رشدي خاطر: قائمة المفردات الشائعة في اللغة العربية، مصر، المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي، ١٩٥٥م.

١١- موسى بريل: قاموس الصحافة العربية: القدس، الجامعة العبرية ١٩٤٠م.

* * *